تجارب اليائيات ونموذج المعارضة

(١) يائية الأسر وعبد يغوث

(١)

قريبة إلى النفس هذه الياء التى اختتمت بها القصائد كحرف روى لها ، فى ظلال هذا الكم من التجارب المتشابهة ، ألأنها ياء « الأنا » فى موقع المفعولية أو الإضافة ، فى منطقة لا تحتمل إلا صدق تعبيرها عن صدى الواقع عليها ، وتستكمل بألف الإطلاق التى تزيد الصوت فيها ألما وتشبعه حنينا وحزنا ؟ ربما!

. وربما سمحت لنا قراءة بعض من هذه التجارب بكشف مدى صدق الإجابة على هذا التساؤل ، وعندئذ تأتى الإجابة عليه شافيةً مقنعة إلى مدى بعيد ، فمع صورة التجربة الأولى نجد الشاعر الجاهلى اليمنى يهزم مع قومه ، ويجره سوء حظه لأن يقع أسيرا فى صفوف أعدائه ، بعد أن كان قائدا لقومه « مذحج » ، ويحاول الأسير أن يفدى نفسه ، ولكن أنَّى له ذلك وقد تمادت « تميم » فى حرصها عليه ، بل أبت إلا قتله «بالنعمان بن جساس» قتيلهم فى يوم «الكلاب الثانى» ، وهو موضع أسر « عبد يغوث بن وقاص الحارثى » ، ولم يكن عبد يغوث قاتله ، ولكن تميما تنتهى بالرأى إلى إجماع الرغبة على قتله كفارس مذكور فى قومه، وشاعر ذائع الصيت بينهم ، وكانوا قد شدوا لسانه لئلا يقدم على هجائهم ، أو التعريض بهم ، أو رصد مثالبهم .

ولما أدرك الفارس الأسير أنه مقتول لامحالة ، طلب إليهم أن يطلقوا لسانه ، لعله يذم أصحابه ممن تركوه وغدروا به ، أو لعله يرثى نفسه قبل موته ، وكما طلب منهم أن يختاروا له قتلة كريمة تليق بمكانته وفروسيته ، فأجابوه إلى رغبته ، وسقوه الخمر ، وقطعوا له عرقا يقال له الأكحل ، وتركوه ينزف حتى مات .

ويقال أنه نظم يائيته المشهورة وقد جُهز للقتل ، فراح من خلالها يحكى قصة ألمه إزاء ما كان من قومه ، وقد تركوه حين هزموا ، ولو شاء الفرار لسهُل عليه أمره ، ولنجا من مأزق أسره ، ولكنه آثر الثبات من أجل حماية قومه ، فإذا به في موقف لا يُحسد عليه بين مهانة ومذلة يترجمها موقف نساء تميم منه ، وهن يهزأن به ، ويسخرن منه ، ويراودنه عن نفسه ، وليس أمامه من عزاء يسلى به نفسه إلا مشاهد من ماضيه العريق يفرُّ إليها ، يتلمَّس من